الإنســـــان في فلســـــــفة ابن رشد

د . ساميـة أبوالقاسم عبيد ـ قسم الفلسفة ـ كلية الآداب ـ جامعة الزاويـة.

الملخص :

حياة الفكـــر الإنساني منذ فجر التاريخ إلى آخـــر الدهـــر سلسلة واحدة متصلٌ أولها بوسطها ووسطها بآخـــرها، ولأجل هذا اتّجه نظري إلى دراســـــة فلاسفة العرب ؛ لأنهم أشد عناية بالفكر الفلسفي واخترت ابن رشد ، وفلســـفته التي تخص المعرفة والإنسانيـــة، وله ثلاث مميزات ليست لغيره من الفلاسفة، الأولى : إنه أكبر فلاسفة العرب وأشهرهم، والثانية : إنه من أعظم حكماء القرون الوسطى عامة وهو مؤسس مذهب الفكر الحر فكان له قدر عظيم في هذا الوقت، والثالثة : كونه فيلسوفاً كبيراً فإن لا يخلو كتاب فلســـفي من ذكره وشرح أفكاره والميزة الأخـــيرة كونه أندلسي وللأندلس وآفاقها وتاريخها وآثارها مكانه خاصة في تاريخ العالم ، وهذه المميزات دفعتني لبحث ولدراسة ابن رشد ، دراسته الجادة ، عن المعرفة ، ولتكون هذه الدراسـة تصحيح وتقويم الفكر الفلسفي العربي والإسلامي .

المقدّمـــــــــــة:

الحمد لله رب العالمين لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على معلم البشرية والمبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آلـــه وصحبه أجمعين.

المعرفة تحتل في محيط الفكر الإنساني منزلة كبيرة، وتشغل من أذهان المفكرين ومؤلفاتهم فراغاً واسعاً، وقد طال الحديث عن المعرفة منذ أعتنى الإنسان بالبحث والكشف عن حقيقته وملكاته الفكرية ونوازعه الإنسانية ، وبعبارة أخـــرى منذ تركّز اهتمام الفلاسفة والمفكرين حول الإنسان ، وتحديد مركـــزه في هذا الوجود ، وما ينبغي أن يكون له من تأثـــر بأصناف الموجودات.

وإذا كان القدماء قد اعتبروا مبحث الوجود (الأنطولوجيا) أهم مباحث الفلسفة جميعاً، إلا إننا نجد أن الفلسفة الحديثة والمعاصرة أخذت تتجه إلى تحديد ميدان البحث الفلسفي ، وذلك في استعراض مشكلات الشـــــعور، أي : المعرفة (الايستمولوجيا) ووسائلها فحسب والبحث في الوجـــود من خلال هذه المشكلات ومن هنا كانت أهمية هذا البحث.

ونظراً للمكانة المرموقة التي تحتلها نظرية المعرفة في تاريخ الفكر الإنساني – وهي جديرة بذلك – فقد كثرت الآراء والاتجاهات وتعددت المذاهب ، ولست هنا بصدد

الحديث عن المعرفة وماهيتها والآراء والاتجاهات الخاصة بها، بل تمحورت إشكالية دراستي فيما يتعلق بالمعرفة عند ابن رشد وما دور الإنسان في المعرفة ، وعلم الله والمعرفة الإنسانية ، وما نوع المعارف التي توصل إليها الإنسان ؟ وكيف؟

إن هذه التساؤلات كانت محور هذه الدراسة وسوف يحاول البحث الإجابة على هذه التساؤلات من خلال طـــرح الموضوع في ثلاث مباحث رئيسية على النحو التالي:

المبحث الأول : الفيلسوف ابن رشد ، و المبحث الثاني : دور الإنسان في المعرفة ، والمبحث الثالث: علم الله والمعرفة الإنسانية، يلي ذلك خاتمة تكون بمثابة خلاصة لهذا الموضوع ، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج التحليلي الذي يستند إلى الفهم ثم التحليل لبلوغ الغاية المرجوة منه وعلى الله قصد السبيل.

المبحث الأول ـ ترجمة ابن رشـــــــد 1126-1198م

من هـــــو ابـن رشـــــــــــد : هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، ولد في قرطبة بالأندلس (إسبانيا الآن) عام 520 هـ الموافــق: 1126 م ، كان أبوه أحمد قاضياً وكان جده قاضي القضاة نشـــأ ابن رشد في أسرة تشغل المناصب السياسية[1]

نبذة عن حياة ابن رشد : حفظ القرآن الكريم وهو في سن الحادية عشر من عمره، ودرس علوم الفقه واللاهـــوت والحديث والتفسير والأصول عن أبيه وهو في سن الخامسة عشر من عمره.، ودرس اللغة والكلام والأدب من علماء قرطبة آنذاك ، ودرس الطب والرياضيات والفلسفة والمنطق والفيزياء على يدي أبي جعفر بن هارون[2].

مؤلفات ابن رشـــــد : كتاب الكليات ألّفه عام 1192م ، وشـــرح الأرجوزة المنسوبة لابن سينا في الطب وألفها عام 1180م ، وتلخيص كتاب المزاج لـ (جالينوس) ، وتلخيص كتاب العلل والأمراض لـ: (جالينوس) ، وتلخيص كتاب الأدوية المفردة لجالينوس ، ومقالة في حميات العفن ، ومســـألة في نوائب الحمى ، ومقالة في الترياق ، وكتاب التهافت ، والبحث فيما ورد في كتاب الشفاء عما وراء الطبيعة ، ومقدمة الفلسفة (12 رسالة) ، وشرح كلام ابن باجة في اتصال العقل المنفصل بالإنسان ، والضروري في الاتصال ، وكتاب الكشف عن مناهج الأدلة ، والضروري في المنطق ، وفصل المقال – وغيرها الكثير[3] ، وهناك مؤلفات وشروحات أخرى ، منها ما هو مفقود بنصه العربي وموجود بالعبرية أو اللاتينية ومنها ما هو مخطوط ويحتاج إلى التحقيق والنشـــر، وإضافة إلى شروحـــه لكتب (أرسطو) فقد قام ابن رشد بشـــرح بعض كتب الفارابي وابن سينا ، ووضع مصنفات خاصة ضمّنها ما انتهى إليه في

مجال الفلسفة والكلام والطب ، وقد أحصى الدكتور ماجد فخري كتب ابن رشد بحسب فهارس المكتبات العالمية فبلغت ثلاثة وخمسين كتاباً.

ثقافته : تشعبت اهتمامات ابن رشد الفكرية وتعدّدت منابع ثقافته فقد درس الشريعة والفقه والطب والفلسفة وألف فيها جميعاً ، وتشير الأخبار إلى معرفة ابن رشد بابن باجة الذي سار على أثر فلسفة الفارابي ، وعرف ابن رشد ابن طفيل، صاحب كتاب " حي بن يقطان" ، وهذا الفيلسوف فتح الطريق لابن رشد وقدمه إلى الأمير أبي يعقوب يوسف قبل تولية الخلافة ، وكلفه بشرح كتب (أرسطو) ، ومن هنا عاد فلاسفة المغرب وظهرت حرية الرأي لأول مرة في تاريخ المغرب[4] ، كان طبيباً وفيلسوفاً وقاضاً وفلكياً وفيزيائياً ، حفظ الموطأ ، وديوان المثني ، ودرس الفقه وفق مذهب الإمام مالك ، ودرس العقيدة على مذهب الأشعري ، ويعد من أهم فلاسفة المسلمين والمدافعين عنها [5]، ودافع عن مشروعية التفلسف ، وكان يقصد من دفاعه الردّ على الغزالي في اتهامه للفلاسفة المسلمين ، وألّف ضده ثلاثة كتب : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، وتهافت التهافت ، والكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة[6]

فلسفة ابن رشد : لقد طلب الخليفة أبو يعقوب المنصور من ابن رشد تلخيص مؤلفات (أرسطو) ، وشروحها فاستجاب لمطلبه وجاءت شروحه على ثلاث ضروب[7].

الضرب الأول : ما يسمى الشرح الأكبر، وفيه يثبت ابن رشد فقره لـ : (أرسطو) ، ثم يسهب في شرحه فيأتي شرحه أطول من النص كما هو الحال في شرحه لكتاب المقولات وتفسير ما بعد الطبيعة .

الضرب الثاني : ما يسمى الشرح الأوسط وفيه ينقل ابن رشد فقرات طويلة ثم يشرح الكلمات أو الآراء الغامضة.

الضرب الثالث : ما يسمى الشرح الأصغر ، وفيه يفسر مذهب (أرسطو)، ويزيد عليه أو يرجح رأي أحد الفلاسفة أو المفسرين على آخر مثل الرسائل الطبيعية الصغرى[8].

إن أعظم المسائل التي شغلت حكيم قرطبة مسألة أصل الكائنات ، وهو يرى في ذلك رأي (أرسطو) ، فيقول : إن كل فعل يقضى إلى خلق شيء ؛ إنما هو عبارة عن حركة ، والحركة تقتضي شيئاً لتحرك ويتم فيه بواسطتها فعل الخلق ، وهذا الشيء هو في رأيه المادة الأصلية التي صنعت الكائنات منها ، ولكن ما هي هذه المادة ؟ هل شيء

قابل للانفعال ولا حد له ولا اسم ولا وصف. " بل هي ضرب من الافتراض لابد منه ولا غنى عنه" وبناء عليه يكون كل جسم أبدياً بسبب مادته أي : إنه لا يتلاشى أبداً، لأن مادته لا تتلاشى أبداً وكل أمر يمكن انتقاله من حيز القوة إلى حيز العمل لابد له من هذا الانتقال وإلا حدث فراغ ووقوف في الكون، وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم، ولولا هذه الحركة المستمرة، لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخلق العالم، بل لما حدث شيء قط[9].

والمتتبع لفلسفة ابن رشد يجد اهتمامه بالمنطق الأرسطي ، ويعتبر دراسته واجبة بالشـــرع ، ووضع شروحه وتلخيصاته في المنطـــق تبرز مدى اهتمامه بالمنطق، وذهب إلى القول بأن العقول والاستعدادات مختلفة فهناك : الخطابيون ، والجدليون ، والبرهانيون.

ومن هنا قسّـــم الناس إلى صنفين : العامة والخاصة ، ولكل منهما طريقة في الاستدلال والتفكير[10]، وبذلك يعد ابن رشد من أهم فلاسفة الإسلام دافع عن الفلسفة وصحح علماء وفلاسفة سابقين له كابن سينا والفارابي في فهم بعض نظريات أفلاطون وأرسطو.

درس الكلام والفقه والشعر والطب والرياضيات والفلك والفلسفة قدّمه ابن الطفيل لأبي يعقوب خليفة الموحدين عام 1182م فعينه طبيباً له ثم قاضياً في قرطبة ، وتولى ابن رشد منصب القضاء في إشبيلية ، وأقبل على تفسير آثار (أرســـطو) ، تلبية لرغبة الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف ، وكان قد دخل في خدمته بواسطة الفيلسوف ابن طفيل، ثم عاد إلى قرطبة حيث تولى منصب قاضي القضاة، وبعد ذلك بنحو عشر سنوات التحق بالبلاط المراكشي كطبيب الخليفة الخاص[11].

أتهم ابن رشد في آخـــر حياته بالكفر والإلحاد من قبل علماء الأندلس ، وكاد له الكائدون عند الأمير أبي يوسف يعقوب فأمر بنفيه وحرق كتبه ، وأصدر قراراً يمنع فيه المسلمين من تداول كتب الفلسفة أو قراءتها ، وبعد أن تأكّـــد الخليفة من بطلان ما كان موجهاً لابن رشد من تهم ، استدعاه إلى مراكش وقام بتكريمه كواحد من أهم رجال الدولة ، ودرس الخليفة فلسفة ابن رشد واهتم بها، ولكنه ما لبث أن مرض مرضاً شديداً وتوفي بعدها بسنة واحدة في عام 595 هجرية في مراكش، ودُفن فيها، ثم نقلوا رفاته بعدها إلى قرطبة حيث ولد هناك هذه هي حياة ابن رشد ونبذة عن فلسفة ابن رشد [12].

المبحث الثانـــي ـ دور الإنسان فـــي المعرفـــة :

يفـــرّق ابن رشد بين حدوث الأشياء ، حدوثاً عرضياً ، وحدوثها نتيجة لعامل سببي واضـــح ، فالمعرفة الإنسانية ينحصر دورها في المعرفة القائمة على مبادئ السببية ولا تتعلق بما يحدث عن الصدفة والاتفاق ، "والفرق بين الاتفاق وســـائر الأشياء التي تعد أسباباً بالعرض أن تلك هي أمور تعرض للأسباب التي بالذات كما يعرض للطبيب عندما يُعالج أن يكون عجمياً أو عربياً"[13]، فأما الاتفاق فإنه " تابع بالذات ومتأخر عنه، إذ ذلك شأن ما بالعرض، ولذلك لا تحيط به معرفة ولا يطلب هذا النحو من الأسباب في صناعة أو علم من العلوم" ، والموت مثلاً يحدث نتيجة الذبح وهو السبب الذي يحصل بالذات، وأما المعلومات التي ليس تتبع عللها إلا بالاتفاق وفي الأقل فهي العلل العرضية مثل : أن يمشي إنسان فيبرق بـــرق... فإنه لم يعرض الموت عن الذبح بالاتفاق بل حدوثه عنه ضروري وأمر لازم[14].

يفهم من هذا أن وضوح الرؤية عند ابن رشد في تفريقه بين ما هو علم إنساني صحيح وبين ما لا يتفق والعقل أفضى به إلى إعطاء الإنسان دوراً في المعرفة نابعاً من طبيعة الإنسان، وهو بذلك قد سبق عصره في بيان الفرق بين العلم الضروري وبين المصادفة والاتفاق وما يحدث حدوثاً عرضياً[15] ،ومن هنا فإن العلم المعاصر يؤكد هذه الحقيقة ؛ إذ "تنبع الضرورة من الجوهـــر الداخلي للظاهرة وتشير إلى إطراءها وانتظامها"، وأما المصادفة وإن كان لها تأثير فهي احتمالية ، قد تحدث أو لا تحدث[16] ، ومن هنا يتضـــح اهتمام ابن رشد بالإنسان اهتماماً واضحاً فقد بحث في القوة الناطقة ، متحدثاً عن ثلاث مسائل : المعرفة بوجودها وحالها بالقوة ، وبالفعل ، ثم يبحث في حدوثها أو أزليتها[17]، وهو يلاحظ أن ميزة هذه القوة إدراكها المعاني إدراكاً كلياً خلافاً للقوي الأخـــرى التي تتصل بالهيولي والقـــوة الناطقة إما أن تركب المعاني بعضها إلى بعض ، أي : عملية التصـــوّر، أو تحكم ببعضها على بعض ، أي : عملية التصديق ، وكلا الفعلان يتماشى بشـــكل مجرد عن الهيولي[18].

وقد جعلت هذه القوّة في الإنسان من أجل الوجود على أفضل حال ، وهذه القوة أساس الصنائع النظرية والعملية ، تستقيم للإنسان دون ســـائر الحيوان لهذا هي تنقسم إلى عقل نظري وعقل عملي[19] ، وتدرك القوة النظرية الكليات أو المعقولات من حيث هي كليات والتساؤل نحوها هل هي بالقوة أولاً وبالفعل ثانياً ، أم هي بالفعل؟

يرى ابن رشد أن الإجابة عن هذا السؤال تقتضى النظر في مدى اتصالها بنا، فإن كان اتصالها بنا تشبيهاً باتصال المفارقات كالعقل الفعال كان حصول المعقولات مستقلاً عن

أدوار العمر وهي لا توجد فينا بمرحلة العمر المبكر وجوداً بالقوة بل بالكمون والاستتار ومن خصائص عملية الإدراك النظرية الآتي[20]:

1-العقل والمعقول فيها واحد إذا المجردات بالعقل توجد فيه على الوجه نفسه الذي توجد فيه خارج النفس، وما دامت غير هيولانية.

2-ليس إدراكها انفعالاً كالحس والمخيلة.

3-إن العقل يقوي فيها مع تقدّم السنّ بينما تضعف ســـائر القوى النفسية ، لكن هذا لا يمنع أن لهذه المعقولات صلة وثيقة بالحس والتخيل[21].

فابن رشد يـــرى أننا مضطرون في سبيل حصولها "أن نحس أولاً ثم نتخيل، وحينئذ يمكننا أخذ الكلى": أي : بالتدرج خطوة خطوة من الحس إلى الخيال فالنطق ، " فالكلى إنما الوجود له من حيث هو كلي ، بما هو جزئي"[22]، ويقول ابن رشد عن النفس أنها صورة لجسم طبيعي إلى ذلك أنه إذا كان كل جسم مركب من مادة وصورة، وكان الذي بهذه الصفة في الحيوان هو النفس والبدن وكان ظاهراً من أمر النفس أنها ليست بمادة للجسم الطبيعي [23]، فهو يقول بأنها : متصلة بالجسم اتصال الصورة بالمادة وهو يخالف ابن سينا في قوله بنظرية النفوس المتعددة ، أما قوله في العقل فغايته أن العقل المتأثر هو عقل الأفـــراد وهو قابل للزوال ، والعقل الأزلي هو عقل الإنسان بوصفه جنساً ، ووظيفة العقل الفعّال تقديم الصور النفسية بهيأة مقبولة للعقل المنفعل فيتقبلها ويدركها[24]، وفي الحقيقة أن عقيدة ابن رشد في وحدة النفوس كانت ترمي إلى غرض أسمى في نظام الكون ، فقد كان يعتقد أن أجـــزاء الكون متشابهة وذات حياة ووجـــود لاشك فيهما وأن الفكر الإنساني في مجموعه نتيجة القوى العليا ومظهر عام للكون بأســـره [25]، ومعنى هذا أن ابن رشد كان يقصد بوحدة النفوس القول بأن الإنسان يعيش عيشة دائمة وأن خلود العقل الفعّال هو إحياء دائم للإنسانية واستمرار دائم للمدينة ، وأن العقل كائن مطلق مستقل عن الأفراد كأنه جزء من الكون وأن الإنسانيـــة هي أحـــد أفعال هذا العقل ، وبناء على هذا لأبد من ظهور الفلســـفة وأن وجودها ضروري ليتمكن الفيلسوف من الإشـــراف على العقل المطلق ، وينتج من هذا أن الإنســـان والفيلسوف لازمان لنظام الكون.

أما حرية الإنسان، فهو يذهب فيها مذهباً معتدلاً، فإنه يقول إن الإنســـان غير مطلق الحرية تماماً ولا مقيدها تماماً ، وذلك إذا نظر إليه من جهة نفسه وباطنه ، فهو حـــر مطلق؛ لأن نفسه مطلقه الحرية في جسمه ولكن إذا نظر إليه من جهة حوادث الحياة الخارجية كان مقيداً، لما لها من تأثير على أعماله[26].

والإنسان يكبر في السن لكن عقله يقوى مع تقدمه في السن بينما تضعف سائر القوى لنفسه الأخرى ، ويخرج من ذلك تسلسل العقول من عقل هيـــولاني إلى عقل بالملكة فعقل مستفاد ، وكل عملية تجريد تنتقل من عقل إلى آخر تحدث بالعقل الفعال ، وهو المفارق للمادة والذي يعقل ذاته كما هو الذي يصير المعقولات التي فيه من القوة إلى الفعل وهذا الفعل له صلة بالعقل الهيولوني وبالعقول الأخرى صلة جوهرية ، لأنه بمثابة الصورة . إذن العقل الفعال أو العقل الإنساني عند ابن رشد خلافاً لفلاسفة المسلمين ليس مفارقاً بماهيته ؛ بل هو صورة العقل الهيولوني من جهة الفعل، أي : ليس محركاً للأفلاك وبهذا يجعل العقل الناطق من فعل النفس البشرية[27]، ومن هنا أشار ابن رشد إلى أن هناك نوعين من العقل ، العقل المتصل بالهيولي يخضع للكون والفساد، والعقل الذي هو فعال محض لا صلة له بالهيولى هو الأزلي، وضرورة مفارق[28].

وبذلك يتضح أن ابن رشد أعطي للإنسان دوراً في المعرفة نابعاً من طبيعة الإنسان وهو بذلك قد سبق عصره في بيان الفرق بين العلم الضروري وبين المصادفة والاتفاق وما يحدث حدوثاً عرضياً.

المبحث الثالث ـ علم الله والمعرفة الإنسانية :

إن تأكيد ابن رشد على المعجزة الإلهية لم يؤثر في نظرتـــه إلى علم الإنسان وإرادته ، فالمعرفة الإنسانية قائمة والإرادة الإنسانية موجودة ولا تلغيها قدرة الله وعلمه ، " لأن الفعل بالإرادة يؤخذ في حد العالم " ســـواء تعلّق الأمر بالعلم الإلهي أو العلم الإنساني ، فالإنســـان يتميز عن غيره من الكائنات بجانبين العلم والإرادة ، والمقصود بالإرادة هنا القدرة على الاختيار والتمييز في الفعل لا الإرادة التي يقول بها ديكارت والتي هي في رأيه مصدر الخطأ الإنساني لأنها تتجاوز الفهم " لما كانت الإرادة من شأنها ألا تبالي ، فمن أيســـر الأمور أن تضل ، وتختار الذل بدلاً من الصواب ، والشر عوضاً عن الخير، مما يوقعني في الخطأ والإثم"[29].

وابن رشد لا يهتم بالجانب الفردي للعلم فحسب ، بل يسعى إلى تطور المعرفة ومن ثم تطور الإنسانية ذاتها، فالعلم يشترك فيه الناس جميعاً، القدماء والمحدثون كل في اختصاصه وعلى سبيل المثال فإن القياس المنطقي ضروري في تقدم العلم، و " إن كان لم يتقدم أحد من قبلنا بفحص عن القياس العقلي وأنواعه، أنه يجب علينا أن نبتدئ بالفحص عنه، وأن يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم حتى تكمل المعرفة به".

فإنه عسير أو غير ممكن أن يقف واحد من الناس من تلقائه وابتداء على جميع ما يحتاج إليه من ذلك ودون أن يعيق تعاون الإنسانية في سبيل التقدم العلمي والاختلافات الدينية أو غيرها من الاختلافات لأن العلم من حيث هو معرفة إنسانية لا شأن له بالعقيدة وبجنس، فالإنسانية واحدة والعلم واحد، ومن العلوم ما لا يستطيع إنسان واحد أو جيل واحد بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن تنظر الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم، فكل جيل يساهم بدوره في تقدم العلم بالفهم أولاً ثم محاولة إضافة شيء جديد أو تعديل القديم ليواكب تقدم الحضارة[30].

ومن العلوم ما هي رياضة عقلية كعلم ما بعد الطبيعة الموصل إلى معرفة الله ، ولكن فائدة العلم المباشرة هي تطـــور العقل الإنساني ليصل إلى كماله ، وإذ كانت نسبة هذا العلم إلى سائر العلوم النظرية نسبة الغاية والتمام ؛ لأن بمعرفته تحصل معرفة الموجودات بأقصى أسبابها والذي هو المقصـــود من المعرفة الإنسانية.

وفي رأي ابن رشد أن القوة النّاطقة التي للإنسان تعمل على إدراك المعنى مجرداً من كل تعلق بالمادة وهـــي إلى جانب ذلك الحاكم على أجزاء المعرفة الأخرى، كالتي تصدر من الحس والتخيل، حيث تركب ما بين هذه الأجزاء، فهناك وجود معقول منقسم وهناك نفس قد انقسمت قراها بهذا الانقسام والعقل في استكماله يقوم بعملية تركيب فيأخذ المعرفة بنوع كلي والفعل الأول من أفعال هذه القوة يســـمّى تصوراً، والثاني تصديقاً، وهو من الظاهـــر هنا أن بالواجب انقسمت قوي النفس هـــذا الانقسام لانقسام المعاني المدركة[31].

ومهما انقسمت قوي النفس الإنسانيـــة فإن هناك جاحماً لهما هو الإنسان ، فالفهم يوجد في الجزء الفكري ، والجـــزء الفكري في النفس " ، وفي الإنسان من أجل وجوده في النفس" ، ومعنى ذلك أن الإنسان هو الـــذي له الدور الحاسم في المعرفة؛ لأنه لا وجود لقوي نفسية أو عقلية منفصلة عن الإنسان ، والإنسان يقصد به لعالم أو الفيلسوف ، ومن هنا فإن ابن رشد " يرى أن الإنسانية والفيلسوف ضرورتان من ضرورات الوجود فلا يخلو الكون من إنسان كما لا تخلو الإنسانية من فيلسوف"[32].

إذاً المعرفة عند ابن رشد مرتبطة بالمعرفة الإلهية، وعنده الله عقل ومعقول معاً، وأن علم الله فنره عن أن يكون علماً بالجزئيات الحادثة المتغيرة المعلولة أو علماً بالكليات التي تنتزع من الجزئيات، فكلا العلمين بالجزئيات والكليات حادث معلوم ، أما علم الله

فعلم يوجد العالم ويحيط به ، فيكفى أن يعلم الله في ذاته الشيء ليوجد ولتدوم عناية الله به وحفظه الوجود عليه[33].

وعند ابن رشد العقل يجب أن يكون فعال وأن يفيض بالمعقولات على العقل الإنساني وهو عقل أزلي أبدي وبذلك فالعقل الإنساني بحكم اتصاله بالعقل الفعال وإفاضة هذا العقل عليه أبدي هو الآخر، أما النفس فصورة الجسم، تفارقه وتبقى بعده منفردة، وأما الجسد الذي سيبعث، فهو ليس عين الجسد الذي كان لكل إنسان في الحياة وإنما هو جسد يشبهه، وأكثر كمالاً منه[34].

وخلاصة هذا الموضوع تقول إن فلسفة ابن رشد تدور على قدم العالم وعنايته والمعاد وحشر الأجساد، فعنده أن العالم مخلوق وأن الخلق خلق متجدداً به يدوم العالم ويتغير، وأن الله هو القديم الحقيقي فاعل الكل وموجوده والحافظ له، وذلك يتوسط العقول المحركة للأفلاك [لو سكت من لا يعرف لقل الخلاف] ابن رشد.

فالمعرفة التي دعا إليها ابن رشد هي معرفة تصاعدية تبدأ بالمحسوس وتنطلق إلى إثبات موجود ليس بمحسوس هو علة للموجود المحسوس، وهنا يشرح هذه الطريقة بتقسيم المدركات إلى مدركات بالحواس وهي الأجسام المشار إليها، والمدركات بالعقل وهي ماهيات الأمور المحسوسة، ويبين أن المدرك بالعقل هو الصورة التي جردت من المادة، وقد أدرك الفلاسفة أن الأمور المحسوسة مؤلفة من طبيعتين القوة والفعل، وبحثوا في أيهما المتقدم على الآخر فوجدوا أن الفعل متقدم على القوة، الأمر الذي أوصلهم إلى القول أنه لابد أن يكون هناك علة أولى هي الفعل، وتكون السبب الأول لجميع العلل[35].

وهكذا كانت المعرفة عند ابن رشد معرفة عقلية تعتمد على العقل – في المقام الأول – والذي له القدرة على اكتساب العلم الذي لا يكون إلا بإدراك الكليات المجردة وعلى أساس العقل أيضاً نقد كل أنواع التفكير الأخرى، كما يبدو اعتماد فيلسوفنا على العقل من رفعه البرهان والأقوال البرهانية على ما عداها ، وذلك من خلال تفرقته المشهورة بين الأقوال الخطابية والجدلية والبرهانية وسعيه للوصول إلى البرهان الذي هو عنده أسمى صور اليقين

الخاتمـــــــــة:

وفي ختام هـــــذه الدراســـــة وبعد أن عرضنا لآراء ابن رشد ورؤيته للإنسان وللمعرفة الإنسانية ورؤيته للعالم وما يرتبط به من ظواهر وأحداث نجزم بالقول

1-لم يكن شارحاً لــ(أرسطو) وناقلاً عنه فقط ، وإنما كانت له آراءه العميقة في المعرفة وفي الطبيعة الإنسانيـــة ، والدليل على ذلك أنه جذب العديد من أقطاب المدرســـة

المسيحية اللاتينية ، وقد أشار (ألبرت الأكبر) ، و(القديس توما الأكويني)، و(سجير البراباني)، و(روجير بيكون) وإلى هذا الأخير مؤسس للمنهج العلمي الحديث ، وبالتالي كان له أثره (ابن رشد) في تطور الفكر العلمي في أوروبا وازدهار الحضارة وتقدّمها مما دعا إليه من اهتمام بالعقل والبرهان والمنهج العلمي[36].

2- لا شك أن مشكلة المعرفة مرتبطة بالذات العارفة من جانب وبموضوع المعرفة من جانب آخر، وطرق إدراك المعرفة هي بمثابة الجسر الذي من خلاله تستطيع أن نعبر من الذات إلى الموضوع.

3- فلسفة ابن رشد وموقفه من المعرفة موقف متفرد ومميز ، وقد ميز بيّن المنطق والفلسفة ، واعتمد على بعض الأدلة في تعريفه للفلسفة والمنطق ويقول أن الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات والنظر فيها نظراً عقلياً ، وهناك آيات كثيرة في ذلك من القرآن الكريم كقوله – تعالى - : (**فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ**) وقوله – تعالى - : (**أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**) ، وهذه الأدلة وغيرها يشدّد فيها ابن رشد على كلمات الاعتبار والتفكير والنظر والرؤية كونها أدلة من الدّين على وجوب النظر بأسلوب عقلي في كل ما هو موجود حول الإنسان.

4- الاعتبار عند ابن رشد هو استنتاج المعلوم من المجهول والوصول إلى نتيجة وهكذا برزت ضرورة دراسة المنطق وقد أبطلت فلسفة ابن رشد الاتهامات التي وجهت في حقه بأنه أنكر وجود الله فقد استدل على وجود الخالق بموجوداته وخلقه، وقد أكد على أن القياس العقلي له الحكم ذاته ، وميّز بين الأقيسة كالقياس البرهاني والقياس الجدلي.

5- أكد ابن رشد أن على أن الشريعة الإسلامية حق وأن البراهين العقلية حق ، وأن المعرفة الإنسانية معرفة عقلية ، فالعقل وحده قادر على الوصول إلى المعرفة وأن البراهين العقلية حق - أيضاً - والحق لا يناقض الحق فلا تضاد بين الفلسفة والشرع وبين المعرفة الإنسانية والمعرفة الإلهية والمرجع الأساسي لكل هذا هو العقل.

5- تأثر بابن رشد علماء الغرب حيث اهتم الفلاسفة الغربيين بشروحه الفلسفية ، حينما كانوا يبحثون عن الفكر العقلاني ليقفوا في وجه الفكر اللاهوتي المسيحي المسيطر على كامل الحياة اجتماعياً وسياسياً في أوروبا في العصور الوسطي.

6- اتهمه الخليفة المنصور قبل وفاته بالزندقة والكفر، ثم أمر بحرق كتبه ونفيه ، ومع ذلك ترجمت مؤلفاته في أوروبا إلى اللاتينية والعبرية في بداية القرن الثالث عشر فدار صراع حول أفكاره ونشأت الرشدية اللاتينية دفاعاً عنه في مواجهة

السلطة الدينية التي أسندت إلى (ألبرت الأكبر) ، و (توما الأكويني) الهجوم على ابن رشد وعلى الرشديـــة اللاتينية ، والنتيجة أن ابن رشد ميت في الشرق حي في الغرب .

الهوامـــــــــــش :

(1) د. محمد العربي، تهافت التهافت لابن رشد، بيروت، دار الفكر، 1993، ص7.
(2) د. محمد لطفي جميعه، ابن رشد، تاريخه وفلسفته، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، بدون تاريخ نشر، ص9-10.
(3) د. محمد العريبي، ابن رشد وفلاسفة الإسلام، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1992، ص5-6.
(4) د. غيضان السيد علي، الفلسفة الطبيعية والإلهية (النفس والعقل عند ابن باجه وابن رشد)، بيروت، دار الفارابي، 2009، ص .
(5) د. محمد لطفي جميعه، ابن رشد، مرجع سبق ذكره، ص15.
(6) د. رفيق العجم، د. جيرار بهامي: رسالة النفس لابن رشد، لبنان، دار الفكر للنشر والطباعة، 1994، ص16-17.
(7) د. مراد وهبه، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار قباء الحديثة، 2007، ص15.
(8) د. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة، دار المعارف، 1949، ص200.
(9) د. محمد ابو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1980، ص65.
(10) د. محمد علي ابو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة، دار المعرفة، 1980، ص99.
(11) د. محمود قاسم، نظرية المعرفة عند ابن رشد، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1993، ص120.
(12) د. مراد وهبه، المعجم الفلسفي، القاهرة، الحديثة للطباعة والنشر، 2007، ص87.
(13) د. فيصل بديع عون، علم الكلام ومدارسه، طرابلس، مكتبة الحرية، 1982، ص89.
(14) د. احمد شمس الدين، تهافت التهافت، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، ص75.
(15) د. محمد العريبي، تهافت التهافت لابن رشد، ط2، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1993، ص148.
(16) د. علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، 1977، ص472.
(17) د. محمد لطفي جميعه، ابن رشد، تاريخه وفلسفته، ص58.
(18) د. محمد علي ابو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة، دار المعرفة، 1980، ص99.
(19) د. محمد عزيز نظمي، النظام والفكر النقدي في الإسلام، بيروت، مؤسسة شباب الجامعة، 1983م، ص75.
(20) فرج انطوان، ابن رشد وفلسفته، دار الفارابي، 2007، ص113.
(21) دي بدر، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة، د. محمد عبدالهادي ابوريدة، ص203.
(22) د. عمر محمد التومي، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1975، ص123.
(23) د. حسن مجيد العبيدي: العلوم الطبيعية في فلسفة ابن رشد، بيروت، دار الطليعة، 1995، ص61.
(24) المرجع السابق، ص62.
(25) د. محمد العريبي، ابن رشد وفلاسفة الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص50.
(26) المرجع السابق، ص51.
(27) د. محمد لطفي جمعه، ابن رشد، مرجع سبق ذكره، ص100.

(28) د. سميح دغيم، فصل المقال ما بين الشريعة والحكمة: بيروت، دار الفكر، 1994، ص65.
(29) د. محمود قاسم، نظرية المعرفة عند ابن رشد، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1993، ص120.
(30) المرجع السابق، ص121.
(31) د. حماد فلاح الغزالي، دراسات في الفكر الإسلامي، مؤسسة ناصر للثقافة، 1978، ص101.
(32) المرجع السابق، ص102.
(33) د. السيد نفادي، الضرورة والاحتمال بين الفلسفة والعلم، بيروت، دار النشر العربية، 1983، ص12.
(34) المرجع السابق، ص13.
(35) د. محمود قاسم، نظرية المعرفة عند ابن رشد، مرجع سبق ذكره، ص123.
(36) محمد عابد الجابري، ابن رشد، سيرة وفكر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، 2007، ص111.